

النقابة عند الأئمة الجزائريين وسيرورة مأسسة الحقل الديني

* فريد مركاش

** إشراف: أ.د. الجنيد حجيج

يعرضُ هذا المقال بحثاً ميدانياً جرى في إطار مشروع بحث حول الأئمة في الجزائر وسيرورة مأسسة السلطة الدينية بالمركز الوطني للبحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية برئاسة الأستاذ الجيلالي المستاري. يهدف هذا المشروع إلى دراسة الإمام كأحد الفاعلين في حقل اجتماعي يعرف تحولات عميقة ومتسارعة، وهي تحولات تمسُّ، من جهة، الأئمة أنفسهم بفعل ما طرأ على الحقل الديني الجزائري المعاصر بظهور أئمة بخلفيات مذهبية وملاح Profils سوسيولوجية متعددة ومتباينة؛ ومن جهة أخرى، تحولات ناتجة عن تأثيرات ترجع للمجتمع الكلي المندرج فيه الإمام. عمل هذا المشروع على تحديد الملمح السوسيولوجي للإمام ومساره التكويني، وطريقة بنائه لسلطته الدينية محلياً وسط الواقع الجديد للحقل الديني الذي أشرنا باختصار شديد إلى بعض عناصره.

سأعالج في هذا المقال إشكالية مشروع البحث هذا من خلال مدخل نقابة الأئمة وبالأحرى النقابية عند الأئمة، وهو المحور البحثي الذي تكلفت به في إطار المشروع حول الأئمة. وسنحاول أن نقارب موضوعنا هذا من خلال هذه العناصر التي ذكرناها، إلى جانب دراسة كيفية ممارسة الإمام للعمل النقابي، وهل توجد خصوصية له في هذا المجال بالنظر إلى وضعه الاجتماعي والديني؟ مع افتراض أن الحقل الديني الجزائري بشكل عام وعمل الإمامة بشكل خاص في حالة تكون وصيرورة، وسنحاول أن نجيب من خلال مدخل النقابية عند الأئمة عن طبيعة هذه الصيرورة.

لا بد من الإشارة إلى أن هذا البحث يدخل في إطار البحوث السوسيوانثروبولوجية الميدانية حول ظاهرة الدين والديني في المجتمع الجزائري

* طالب دكتوراه، جامعة وهران2.

** أستاذ بجامعة وهران2.

ABSTRACT: In this article , I intend to report on a field study carried out as part of a research project at the Centre for Research in Social and Cultural Anthropology on Algerian Imams and the process of institutionalization of religious authority. The subject of this research is trade unionism among Algerian imams

I will then present the context of my research in relation to the problem of the general project , then I will present the context and the implications of the idea of a union of imams? and then I will present the proposed research avenues for this subject and the methodological approach adopted. And I will conclude with a few results of the study.

Keywords: Algerian imams , religious authority , union of imams , religious reference.

المعاصر. والدراسات والكتابات التي اهتمت بالدين في الجزائر وإن كانت كثيرة، إلا أننا وتبعاً للرأي محمد إبراهيم صالحى نرى بأنها لا تلبي متطلبات البحث العلمي الأنثروبولوجي والاجتماعي ولا ما ينتظره المجتمع من فهم للظواهر الدينية¹، ونفس هذا الرأي ذهبت إليه سوسي أنديزيان² Sossie Andeziane حين تساءلت: عن كون الدين هو الموضوع الأقل تناولاً وبحثاً في العلوم الاجتماعية الخاصة بالجزائر، وأرجعت أنديزيان هذا الواقع المتناقض مع الفترة الإستعمارية حيث كانت المواضيع والدراسات حول الدين في كل تمظهراته رائجة جداً، إلى السياق التاريخي والسياسي الذي كان يعطي الأولوية لقضايا التنمية والتصنيع على حساب المواضيع "الهامشية مثل الدين".

الإطار النظري:

تمثلت مقارنة موضوع النقابية عند الأئمة، من خلال ثلاثة عناصر متداخلة ومتفاعلة فيما بينها، وهي: الملمح السوسيولوجي للإمام؛ سيرورة العقلنة والهيكلية البيروقراطية processus de bureaucratisation لقطاع الشؤون الدينية من طرف الدولة؛ وحركية المجتمع الكلي المندرج فيه الإمام ولاسيما الحركات المطلوبة الراهنة.

عند البحث في الواقع الراهن للحقل الديني الجزائري لا يمكننا إلا أن نلاحظ أننا أمام ملمح أو بالأحرى ملامح سوسيولوجية جديدة ومتجددة للأئمة، كنتيجة لتعدد المسارات التكوينية، مع ما يستتبعه من تعدد في الخلفيات الفكرية والمذهبية، وفي المحصلة نجد أنفسنا أمام واقع ديني منشط ومتشظي. ما يهمنا نحن هنا، وما له نجاعة لمقاربة موضوعنا، هو شكل العلاقة الجديدة للإمام بالمجتمع. لقد تغيرت علاقة الإمام وبالأخص الإمام المتخرج من كليات الشريعة الإسلامية بالمجتمع فلم يعد له ذلك الارتباط الذي كان للإمام والفاعل الديني التقليدي بالمجتمع، بحيث كان المجتمع إما هو من يلبي حاجياته المادية أو يكمل الدخل الذي يحصل عليه الإمام من وظيفته الرسمية. يجدر بالذكر في هذا الصدد أن هذه الحركية يساهم فيها أيضاً المجتمع، الذي تغيرت نظرته لمكانة الإمام ودوره. أدت هذه الحركية إلى أن أصبح الإمام أكثر ارتباطاً بوظيفته في بعدها الرسمي والإداري وأصبح وضعه مرتبطاً بشكل شبه حصري بوضعه الوظيفي الإداري. تعرض عبد الرحمن موساوي في مقال له³ إلى هذا العنصر وقد خرج بمجموعة من النتائج أهمها أن ملمح إمام المسجد التقليدي بدأت

¹ Mohamed Brahim Salhi ، "Éléments pour une réflexion sur les styles religieux dans l'Algérie d'aujourd'hui" ، Insaniyat / إنسانيات ، Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales ، no. 11 (August 31 ، 2000): 43-63.

² Sossie Andezian ، "Sciences sociales et religion en Algérie: la production contemporaine depuis l'indépendance" ، Annuaire de l'Afrique du Nord. - (1993): 381-395.

³ Abderrahmane Moussaoui ، "La mosquée en Algérie: figures nouvelles et pratiques reconstituées" ، Revue du monde musulman et de la Méditerranée ، no. 125 (2009): 23-45.

تندثر لصالح ملامح أخرى يمثلها أئمة شباب متخرجون من الجامعات، يتحكمون في اللغة العربية الفصحى، وهذا ما يمنحهم زيادة وإضافة في الإقناع وحتى الإيهار، كما يمثلهم ملمح ما سماه بالإمام النجم. طالت هذه التحولات المؤسسات المسجدية هي الأخرى ومدى تحكم الدولة فيها وكذا شبكات العلاقات المعقدة والمركبة ما بين المصلين والأئمة واللجان المسجدية والإدارة الوصية. وجب التنبيه هنا أن بعض هذه العناصر التي ذكرها عبد الرحمان موساوي لم نجدها في ميداننا أو على الأقل لم تعد موجودة بالشكل المقدم في المقال، وسنعود لمناقشتها على ضوء نتائج البحث الميداني.

توجد دراسات كثيرة عن تسيير الدولة للحقل الديني في الجزائر، دراسات تنتمي إلى حقول معرفية متعددة من علم الاجتماع التاريخ علم السياسية والقانون، ويبدو أن الدين وفق هذه الدراسات كمورد أخلاقي واجتماعي تستغله الدولة بما يخدم سياستها.¹

مكن أن نذكر في هذا الصدد دراسات بورمانس² ، فريكوزي³ Fregosi وراجية⁴ Rouadjia وسانسون⁵ Sanson.

لقد عملت الدولة الجزائرية دائما على تسيير وتنظيم الشؤون الدينية منذ الاستقلال ولم تفصل أبدا ما بين المجالين الديني والسياسي والعمومي، فالإسلام في الدستور الجزائري هو دين الدولة، ولكن هذا لا يجعل من الدولة الجزائرية دولة اسلامية، كما أنها ليست دولة علمانية في نفس الوقت. بل الأمر أكثر تعقيدا وتركيبا وهذا ما يذهب إليه سانسون⁶ Sanson. فهو يطرح فكرة بأن الدولة الجزائرية دولة شعائرية⁷ confessionnelle. وهو حل وسط تم تبنيه ما بين دعوة فيديريالية فرنسية المنادية بدولة علمانية خالصة على النموذج الفرنسي ودعوة بعض رموز جمعية العلماء الداعين الى ترسيخ الطابع الاسلامي للدولة. يرى سانسون بأن الدولة الجزائرية اهتمت دائما بالشؤون الدينية لمواطنيها من جهة وبصورتها كحامية وممثلة للهوية الدينية للمجتمع من جهة أخرى، مميزا في هذا الصدد ما بين ثلاثة أبعاد في تعاطي الدولة مع الشؤون الدينية، البعد الأول هو البعد الإيديولوجي، وهو ما أسلفنا ذكره

¹ Andezian ، "Sciences sociales et religion en Algérie ، " 383.

² Maurice Bormans ، "LE « MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT ORIGINEL ET DES AFFAIRES RELIGIEUSES » ، EN ALGÉRIE ، ET SON ACTIVITÉ CULTURELLE... ، " *Oriente Moderno* 52 ، no. 7/8 (1972): 467-481.

³ Franck Fregosi ، "Islam et État en Algérie. Du gallicanisme au fondamentalisme d'État ، " *Revue du monde musulman et de la Méditerranée* 65 ، no. 1 (1992): 61-76; Franck Fregosi ، "Une Sécularisation Problématique: La Discussion Contemporaine Sur Le Rapport Etat-Religion (Algérie-Tunisie) ، " *Annuaire de l'Afrique du Nord* 33 (1994): 413-434.

⁴ Ahmed Rouadjia ، *Les frères et la mosquée: enquête sur le mouvement islamiste en Algérie* (Paris: Karthala ، 1990).

⁵ Henri Sanson ، "Statut de l'Islam En Algérie ، " *Annuaire de l'Afrique du Nord Paris* 18 (1979): 95-109.

⁶ Sanson H ، *Statut De l'Islam En Algérie* ، *Annuaire de l'Afrique du nord* ، 1979 CNRS Paris ، PP 95-109.

⁷ اخترت هذه الترجمة لأنني رأيت أن المرادفات الأخرى مثل المذهبية أو العقيدة وغيرها لا تفي بغرض ومراد الكاتب.

أنفا من اهتمام الدولة بهويتها الإسلامية، وهو ما عمل عليه كل الرؤساء الذي تعاقبوا على الحكم، بغض النظر عن اختلاف سياساتهم، ومشاريعهم المجتمعية.¹ والبعد الثاني وهو الأكثر أهمية بالنسبة لنا وهو نابع من مستلزمات منطق الدولة، وهو بعد الإسلام العمومي PUBLIQUE أي كل ما له علاقة بتنظيم الشؤون الدينية من تسيير الأوقاف والمساجد وتنظيم التعليم الديني وما إلى ذلك مما يدخل في خانة ما هو عمومي. والبعد الثالث هو البعد الشخصي للدين وهو بحسب رأي سانسون مما لا تتدخل فيه الدولة، إلا إذا مسّ البعد العمومي مثل انتهاك "حرمة رمضان" في الفضاء العام.

يزداد اهتمام الدولة الجزائرية بتنظيم الحقل الديني والتحكم فيه، بشكل أساسي، تبعا لنشاط وحركية الجماعات والحركات ذات المرجعية الإسلامية، وما يمكن أن تمثله من تهديد، للنظام السياسي وشرعيته. ولا يمكننا هنا، إلا أن نفكر في مرحلة التسعينيات من القرن الماضي، حيث شكلت الحركة الإسلامية تهديدا حقيقيا لاستقرار النظام السياسي.

كثيرة هي الدراسات التي تناولت الحركات الإسلامية في الجزائر، وكيفية إستغلالها للمنابر الدينية، وأهمها المساجد، لنشر أفكارها، وحشد جماهيرها.² يطرح أحمد روادجية في كتابه الإخوة والمسجد فكرة رئيسية مفادها، أن المساجد شكلت الحاضنة الأهم للإسلام السياسي في الجزائر. وما سهل وساعد على هذا الأمر هو عجز الدولة عن الاستجابة للطلب المتزايد في المجتمع للمؤطرين الدينيين، وهو الفراغ الذي ملئه سريعا وبشكل فعال الإسلام السياسي.

سُرعت تجربة التسعينيات من رغبة الدولة في التحكم أكثر في الحقل الديني، من خلال انتهاج سياسة عملت على عقلنة تسيير القطاع الديني وهيكلته إداريا، بحيث أدمجته في منطق التسيير الإداري العام للدولة، وهو ما وجد ترجمة له في أرض الواقع من خلال سلسلة من القوانين انطلقا من سنة 1998 لتنظيم الشؤون الدينية³ مست هذه القوانين ثلاثة مجالات، ذات أهمية كبيرة لموضوعنا، وهي تنظيم وعقلنة، بناء وتسيير المساجد.⁴ تنظيم قطاع التعليم الديني وتكوين الأئمة والإطارات الدينية. ثالثا وهو الأهم إدماج الإمام في منظومة الوظائف العمومي، ليصبح الإمام بذلك

¹ أنظر في هذا الصدد أعمال فرانك فريغوزي Frank FREGOSI: Les rapports entre l'islam et l'Etat en Algérie et en Tunisie: de leur revalorisation à leur contestation En Algérie et en Tunisie: de leur revalorisation à leur contestation Annuaire de l'Afrique du nord, 1979, 123-103PP, L'islam de houari Boumediene, 1990, Annuaire de l'Afrique du nord, 267-276, PP.

² ROUADJIA Ahmed, Les frères et la mosquée: Enquête sur le mouvement islamiste en Algérie, Karthala, 1990, Paris

³ المستناري الجيلالي، الخطاب الديني ومسألة المواطنة في الجزائر: قراءة في مضمون خطب منبرية في مساجد وهران، ضمن كتاب الجزائر اليوم: مقاربات حول ممارسة المواطنة، اشرف حسن رمعون، منشورات الكراسك، 2012، ص 163.

⁴ أنظر: دراسة عبد الرؤوف القاسمي، التنظيمات المسجدية، ضمن الحركة الجمعية في الجزائر الواقع والآفاق دفاتر المركز منشورات الكراسك، 2005.

موظفًا لدى الدولة مرتبطًا كليًا بها. سيرورة وظفنة Fonctionnarisation الإمام تشكل عنصرا في غاية الأهمية لفهم لجوء الأئمة للعمل النقابي.

تميزت المرحلة التي نعيشها بتنامي الاحتجاجات الاجتماعية المطالبة، المفردة البراغمية والبعيدة عن أي ايدولوجية مهيكلة، وهو ما يلاحظ من خلال تنامي النقابات المستقلة.¹ ونقابة الأئمة التي نحن بصددنا تندرج في هذا السياق.

سوف نحاول أن نقارب موضوعنا هذا من خلال هذه العناصر التي ذكرناها إلى جانب دراسة كيفية ممارسة الإمام للعمل النقابي، وهل توجد خصوصية له في هذا المجال بالنظر الى وضعه الاجتماعي والديني؟ مع افتراض أن الحقل الديني الجزائري بشكل عام وعمل الإمامة بشكل خاص في حالة التكون والضرورة سوف نحاول أن نجيب من خلال مدخل النقابية عند الأئمة عن طبيعة هذه الصيرورة.

بالنسبة للبحث البيليوغرافي النظري تناولت مفهوم السلطة والسلطة الدينية، وهو مفهوم بحث في الفلسفة السياسية لاسيما في ما كتبه حنة أرندت² Hannah Arendt وفي علم الاجتماع في أعمال ماكس فيبر وبيار بورديو، والذي يمكن أن نقرأ نظريته على أنها نظرية للسلطة ولممارستها. تتميز السلطة Autorité عن الحكم Pouvoir في أنها تمارس مرتكزة على شرعية يجعلها متقبلة على من تمارس عليهم سواء افرادا أو جماعات.³ يميز ماكس فيبر ما بين ثلاثة أنواع من السلطة بحسب ما تركز عليه من شرعية: السلطة التقليدية المرتكزة على شرعية الأسلاف والأعراف المتوارثة، وتبدو فيها السلطة لمن تمارس عليهم كأنها نابعة من طبيعة الأشياء، السلطة العقلانية المرتكزة على شرعية العلوم والخبرات وهي النوع السائد في المجتمعات الغربية المعاصرة، والسلطة الكاريزمية لفرد له مؤهلات يرى بها من يخضع له انها تؤهله للقيادة والحكم وهي سلطة غالبا ما تظهر في فترة الأزمات.

للسلطة ثلاثة معانٍ رئيسة وهي: (1) السلطة بمعناها المجرد وهي التأثير والحكم المستند على شرعية ما (2) السلطة بمعنى القوة التنفيذية لنص أو حكم قضائي (3) والمعنى الأخير يرتكز على المعنيين الأوليين وهو الأشخاص والمؤسسات الممثلة للسلطة بالمعنى المجرد.

ان لمفهوم السلطة الدينية في السياق الاسلامي طابع اشكالي بحسب رأي زغال وغابوريو ZEGHAL et GABORIAU⁴ وذلك لسببين وهما: بحسب الاعتقاد الاسلامي

¹ انظر أعمال ناصر جاني : "الجزائر من الحركات العمالية الى الحركات الاجتماعية" عن المعهد الوطني للعمل 2001 " مواطنة من دون استئذان : الدولة والنخب عن منشورات شهاب 2006.

² Arendt Hannah ، « Qu'est-ce que l'autorité ? » ، in H. Arendt ، La Crise de la culture (1964) ، Gallimard ، Paris ، 1972.

³ Sylvie Mesure ، Patrick Savidan ، Le dictionnaire des sciences humaines ، Puf ، 2006 Paris.

⁴ Arch. de Sc. soc. des Rel. ، 2004 ، 125 ، (janvier-mars 2004) 5-21.

الرب هو الوحيد الذي يملك السلطة على عباده ويمارسها عليهم من خلال التعاليم والأحكام التي يبلغهم بها من خلال رسله والسبب الثاني هو صعوبة التمييز ما بين السلطة الدينية والسلطة السياسية أو القبلية، تتوزع السلطة الدينية في الإسلام على ثلاثة أقطاب وهي: قطب الفقهاء الذين يملكون شرعية الفتوى والقضاء، السلطة الروحية لرجال التصوف، شرعية الحاكم أو الخليفة الذي يحكم باسم الشريعة ويعمل على تطبيقها.

المنهجية وأدوات العمل الميداني:

للإجابة عن أسئلة هذا الموضوع وتحقيق أهداف الدراسة، اخترنا المقاربة الكيفية. استعملنا بشكل أساسي تقنيتي سرد الحياة *Récit de vie* والمقابلة الفهمية *l'entretien compréhensif*. نرمي من خلال تقنية سرد الحياة معرفة الملح السوسولوجي للإمام النقابي، لفهم مساره كإمام ونقابي، وللتعرف على السيرة التي قادت مجموعة من الأئمة إلى تبني العمل النقابي المطلبي، وسيلة لتحسين ظروف الإمام المهنية والاقتصادية. أما تقنية المقابلة الفهمية فنرمي من خلالها التعرف على تمثيلات وتصورات الأئمة حول الإمامة كمهنة، وعن العمل النقابي.

مسّ عملنا الميداني العيني، أولا وأساسا الإمام النقابي الناشط في هذا الإطار، من النقابيتين المعتمدتين أي النقابة التابعة للإتحاد العام للعمال الجزائريين والنقابة المستقلة، ثم توسع عملنا ليشمل الأئمة المنخرطين في نقابة الأئمة ولكن من دون نشاط فعلي.

تعتبر ظاهرة النقابية عند الأئمة حديثة جدا في الجزائر وعليه فالدراسات حولها بحسب التتبع منعدمة تماما مما اضطرنا إلى الرجوع بشكل أساسي إلى الصحافة الوطنية، كمصدر للمعلومات حولها إلى جانب مقابلة تليفزيونية أجراها السيد جلول حجيبي مؤسس نقابة الأئمة التابعة للإتحاد العام للعمال الجزائريين مع قناة النهار وأخيرا مقابلة مع أحد مؤسسي الفرع النقابي للأئمة بوهرا.

قمت وبشكل متزامن بعمل ميداني من خلال مقابلات مع الأئمة عمل بيبيوغرافي حول مفهوم السلطة بشكل عام والسلطة الدينية بشكل خاص، إلى جانب قراءات عامة حول إشكالية الدينية في السياق المعاصر، وقمت بجرد وقراءة القوانين المنظمة لقطاع الشؤون الدينية.

أجريت مقابلات مع أئمة منخرطين في التنسيق الوطنية للأئمة لإطارات الدينية من ولايتي وهران غيليزان، تجدر الإشارة هنا إلى أن الأئمة الذين أجريت معهم مقابلات في أول العمل الميداني لا ينتمون إلى مواقع قيادية في النقابة، وقد تعمدت هذا الخيار في أول الدراسة حتى أتجنب المواقف الرسمية والحيثيات الجانبية السياسية والدينية

التي يحملها الفاعلون القياديون في النقابة. في المقابلات التي قمت بها تجنبت طرح الأسئلة واستعمال دليل للمقابلة، على الأقل في هذا المستوى من سير البحث. ثم اتجهت في المرحلة الموالية نحو الأئمة الذين يشغلون مواقع قيادية في النقابة.

نقابة الأئمة: السياق والتأسيس

ترجع أول محاولة لتأسيس إطار نقابي يجمع الأئمة إلى مبادرة الشيخ جلول حجيمي سنة 1999، عندما تقدم بطلب لوزارتي الداخلية والعمل لإعتماد جمعية "الرابطة الجزائرية للأئمة والعلماء والإطارات الدينية"¹. ولكن الطلب رفض للإهام الذي وقع بشأن شكل وهوية الرابطة. هل هي جمعية دينية، تهتم بشؤون الثقافة الإسلامية؟ أم أنها حركة مطلبية نقابية؟ تجدر الإشارة هنا أن مبادرة الشيخ حجيمي سبقتها محاولة أخرى لتأسيس نقابة للأئمة، سعى إليها أئمة تيزي وزو سنة 1992. ولكنها أجهضت في مهدها، وتعرض الأئمة المبادرين بها إلى مضايقات أمنية وإدارية.²

بقيت هاتين المحاولتين من دون نتيجة، بسبب حداثة التجربة، وعدم توفر سياق مواتي لها، إلى سنة 2007 حين بدأ مجددا الحديث عن نقابة للأئمة يطرح نفسه، بجدية وإلحاح، مما دفع الوزارة الوصية وهي وزارة الشؤون الدينية والأوقاف لاتخاذ موقف منها، فقد صرح الوزير السيد غلام الله بأن وزارته لا تمنع في مطلب النشاط النقابي للأئمة.³ توالى بعد هذا التاريخ التصريحات والمواقف بهذا الشأن وظلت الوزارة الوصية على عدم ممانعتها إنشاء تأسيس نقابة للأئمة، بشرط احترام خصوصية منصب الإمامة ورسالة المسجد، وأن لا يصل الأمر إلى حد تنظيم احتجاجات أو إضرابات.⁴ ولكن رغم كل هذه التصريحات الإيجابية من الوزارة تجاه العمل النقابي للأئمة، إلا أن الموقف الفعلي تجاهه ظل متصلبا ومتمنعا، إذ صرح الأئمة لجريدة الخبر أنهم "هرموا ولم ولم يعيشوا لحظة تأسيس نقابة لأكثر من اثنتين وعشرين ألف إمام"⁵. بل ووصل الأمر إلى تهديد الشيخ جلول حجيمي بالنزول إلى الشارع "بالزي الرسمي" للاحتجاج على عدم اعتماد نقابة للأئمة.⁶

انتهى هذا الشد والجذب ما بين الأئمة والوزارة إلى ترخيص وزارة الداخلية لاجتماع عام بفندق القيتاني بالجزائر العاصمة حضره أئمة مثلوا خمسة وثلاثين ولاية،

¹ الشروق اليومي 2012/09/13

² الخبر 2012/05/07

³ الشروق اليومي 2007/03/19

⁴ صوت الأحرار 2011/02/28

⁵ الخبر 2011/09/20

⁶ البلاد 2012/07/09

للتحضير لعقد المؤتمر التأسيسي لنقابة الأئمة.¹ ثم تبعه اجتماع آخر لتأسيس نقابة أخرى موازية ولكن مستقلة، منضوية تحت SNAPAP.² تأسست "التنسيقية الوطنية للأئمة وموظفي الشؤون الدينية بتاريخ 17 مارس 2013، وانضوت تحت إطار الاتحاد العام للعمل الجزائريين.

طبعاً لم تلق قضية نقابة الأئمة وانخراط الإمام في نشاط مطلبية إجماعاً داخل الحقل الديني، فقد رفضت الجمعية الوطنية للزوايا أن يكون للإمام نشاطاً نقابياً. قد صرح السيد عبد القادر باسيل في هذا الصدد بأن العمل النقابي منافي لمكانة الإمام داخل المجتمع والذي يمكنه في حالة احتياج أي شيء أن يتوجه للمجتمع مباشرة من دون الحاجة إلى الانخراط في هكذا نشاط مطلبية.³ هذا الموقف من جمعية الزوايا يمكن أن نرجعه إلى موقف الجهات الأكثر تقليدية والأكثر ارتباطاً بهيكلية وشكل الحقل الديني التقليدي. مضافاً إلى موقف جمعية الزوايا هذا يمكننا أن نسجل أيضاً بعض مواقف الصحفيين المعبر عنها من خلال مقالات صحفية قد تعكس جانباً من مواقف الحس المشترك الجماعي، حول استغراب أن ينخرط الإمام في العمل النقابي المطلبية. واستغراب أشد حول أشكال الاحتجاج التي يمكن أن ينتهجها الإمام للمطالبة بحقوقه المهنية.⁴ وقد كانت هذه المسألة من أكثر ما ألح عليه صحفي قناة النهار عند استضافته الشيخ جلول حجيبي. وقد كان رده من خلال مقابلة قناة النهار ومن خلال تصريحاته التي نقلتها الصحافة الوطنية. ورد غيره من الأئمة المنخرطين في إطار النشاط النقابي، أن هذا النشاط يعتبر حقاً للإمام بلحاظ ما يعانيه في حياته المهنية والمادية، وضغوطات الإدارة. في حين أن الإمام له دور رئيسي في المجتمع، خاصة في الظروف العصيبة من فترة العشرية السوداء، وآخرها في جانفي 2011 عندما اندلعت الاحتجاجات الاجتماعية وتصدى الأئمة لتهدة الأوضاع. مضافاً إلى كل هذا يعتبر الإمام بحسب رأي الشيخ حجيبي الضامن للحفاظ على الهوية المذهبية المالكية للمجتمع وما يسميه بالخط الوطني النوفمبري. هذه الردود والتبريرات هي عبارة عن استراتيجية لتسويق أن صبح التعبير لفكرة نقابة الأئمة مع التأكيد، أن الإمام لن يصدر منه في نشاطه النقابي ما يخالف الشرع ومقام الإمامة ورسالة المسجد وأن مطلبية سوف تعبر عن نفسها في حدود ما يسميه "المعقول".⁵

عناصر ونتائج البحث:

¹ الشروق اليومي 2012/09/13

² الخبر 2012/10/21

³ البالد أون لاين 2012/09/15

⁴ المواطن 2010/06/12 وصوت الأحرار 2012/06/09.

⁵ <https://www.youtube.com/watch?v=oMWRrozsWFI>.

من خلال العمل الميداني والمتمثل في مقابلات مع أئمة نقابيين، وتحليل تصريحات الفاعلين في حقل الشؤون الدينية، ودراسة القوانين المنظمة لقطاع الشؤون الدينية، إضافة إلى القراءات النظرية حول الموضوع، توصلت إلى مجموعة من الملاحظات حول محور البحث في علاقته مع الإشكالية العامة للمشروع.

لا يمكننا أن نفصل ما بين ظاهرة النقابية عند الأئمة والحركية المطلوبة المصاحبة لها، عن رهانات مكانة الأئمة والمسجد في المجتمع، بل عن كل رهانات الديني في علاقته بالمجتمعي والسياسي.

يظهر جليا من خلال مختلف القوانين التي أصدرتها السلطات السياسية لتنظيم وتسيير الحقل الديني، ومن أهمها وأبرزها المرسوم التنفيذي رقم 08-411 المؤرخ في 24 ديسمبر 2008 والمتضمن للقانون الأساسي الخاص بالموظفين المنتمين للأسلاك الخاصة، والرسوم التنفيذية رقم 13-377 مؤرخ في 5 محرم 1435 الموافق 09 نوفمبر سنة 2013، المتضمن القانون الأساسي للمسجد. بالإضافة إلى مشاريع القوانين مثل مشروع قانون الجمعيات ذات الطابع الديني، أننا أمام لا أقل محاولة من السياسي للتحكم في الحقل الديني وتسييره وفق التوجهات العامة لسياسته وبما يحفظ له "السلم الاجتماعي" ولا أدل على ذلك من توالي التصريحات الرسمية حول ضرورة تحصين المجتمع بالدعوة إلى المحافظة على المرجعية الدينية الأصلية وهي هنا المذهب المالكي. تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى كثرة استعمال عبارة (الأمن الديني) وربطه بالأمن الاجتماعي.

إن تزايد التصريحات من مختلف الفاعلين حول المرجعية الدينية للمجتمع والجدل الذي أصبحت تثيره، يمثل ردة فعل لتضعف السلطة الدينية التقليدية بفعل انشطار المرجعيات الدينية في سياق ارتفاع الصبيب الوعظي¹ وبروز ما أصبح يعرف بالفقيه الفضائي².

لا يمكن قصر ظاهرة النقابية عند الأئمة على الجوانب السوسيو مهنية البحتة إذ أن لها رهانات أخرى على علاقة بتسيير الحقل الديني والصراع على المواقع داخله، فقد بينت لي المقابلات أن الأئمة يرون أن تنظيمهم وإن كانت المطالب المهنية والاجتماعية تمثل هدفه الأول والأهم إلا أن لها أيضا هدف آخر، وهو العمل في سبيل- والتعبير لأحد الأئمة المستجوبين- "خلق جبهة من الأئمة يمكنها الوقوف أمام التيار الجارف للسلفية" والضغط على الوزارة الوصية لتجعل من المرجعية الوطنية المرجعية الشرعية الوحيدة في المجتمع لاسيما من خلال استحداث مؤسسة لإصدار الفتوى.

¹ الغيلاني محمد، الخطاب الديني في القنوان الفضائية العربية : دراسة وتحليل للمضمون.

² الغدامي عبدالله محمد، الفقيه الفضائي : تحولات الخطاب الديني من المنبر الى الشاشة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2011.

لعب السياسي دورا حاسما في خلق نقابة الأئمة وإن بطريقة غير مباشرة لعله يمكننا أن نقول أن مطالبة الأئمة بنقابة لهم هي من قبيل الأضرار الجانبية بالنسبة للدولة لسياستها في ضبط الحقل الديني وتسييره وفق المنطق البيروقراطي.

لا يملك الأئمة نفس استراتيجيات موحدة حيال العمل النقابي فقد بينت المقابلات أن هناك تمايزا في الرؤى مع ما بين الأئمة النقابيين القياديين والأئمة الآخرين. يركز الأئمة النقابيون القياديون أكثر على مسائل تتعلق بكيفية إدارة القطاع الديني والتركيز على مواجهة التيارات الأخرى وبخاصة التيار السلفي بينما يركز الأئمة المنخرطون على قضايا ذات علاقة بشؤون الإمام اليومية من قبيل علاقاته بالإدارة ولاسيما مع مفتشي الشؤون الدينية الصراع مع اللجان المسجدية، تحسن الراتب وما إلى ذلك.

هناك نوع من التملل والقلق عند الأئمة في بالنسبة للتوفيق ما بين رسالتهم VOCATION الدينية وما بين سلوكهم المطلي ووضعهم الوظيفي الذي يتبنونه.

تبين لي من خلال المقابلات المجراة مع الأعضاء القياديين في نقابة الأئمة وتصريحات الأمين العام للنقابة جلوس حجي، في الصحافة الوطنية، العودة المتكررة لمفردة "المرجعية الدينية الوطنية" والتركيز عليه كمطلب على علاقة بكيفية تسيير الحقل الديني الوطني، إلى جانب المطالب الأخرى ذات الطابع السوسيومي، اللافت في هذا المطلب أنه يتقاطع مع ما تنادي به السلطات العمومية، لا أقل على مستوى التصريحات الرسمية التي تصدر عن ممثلها مثل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. وهو ما دفعني إلى عقد محاولة مقارنة أولية - وهي حتما تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة - ما بين تصور نقابة الأئمة لتسيير الحقل الديني ومشروع السلطات العمومية في هذا المجال، وللقيام بهذا العمل استفدت من المعطيات التي رشحت عن المقابلات مع الأئمة النقابيين وتصريحات قياداتهم النقابية في وسائل الإعلام، ووزارة الشؤون الدينية ونشاطاتها المختلفة. من خلال هذه المقارنة تبين لي ما يلي:

ربط كل من نقابة الأئمة ووزارة الشؤون الدينية، المحافظة على المرجعية الدينية الوطنية - وهي غير محددة بشكل دقيق عدا ما يذكر التأكيد على مرجعية المذهب المالكي- والأمن الاجتماعي، بالتأكيد على أن ولوج مذاهب وتوجهات دينية جديدة إلى الجزائر انجر عنه عدم استقرار سياسي وأمني. وفي هذا الصدد صرح لي ممثل النقابة في وهران أن "المجتمع الجزائري كان بخير عندما لم تكن نخلف حول مرجعيتنا الدينية والأمر الذي اختلف الآن مع كل أسف وأصبح يهدد المجتمع في كيانه وأمنه" ونفس هذا الربط نجده عند وزير الشؤون الذي أكد على "المحافظة على المرجعية الدينية الوطنية وبأنه يتعين على الإمام أن "يحافظ على المرجعية الدينية الوطنية من خلال اعتماده على النصوص الدينية والاجتهادات التي تركها لنا شيوخ

الجزائر والمغرب العربي خلال القرون الماضية على غرار أبو العباس الونشريسي " وأن المرجعية الدينية الوطنية قد ساهمت في توحيد الشعب الجزائري ونبذه للفتاوى التضليلية وتجنيب البلاد الوقوع في الفتن. "كما ساهمت هذه المرجعية حسيه في "القضاء على المد الصليبي الاسباني بعد سقوط غرناطة وكذا الفرنسي وهزم الأفكار المنحرفة والهدامة والإرهاب الدولي والوقوف في وجه من أرادوا تقسيم الأوطان العربية. مؤكدا أيضا في هذا الصدد بأن المسجد بمرجعيتيه الدينية الوطنية "كفيل بصد الأفكار الهدامة والمتشددة التي بدأت تتوغل إلى المجتمع الجزائري والتي جاءتنا من وراء البحار" معتبرا مثل هذه الأفكار "غريبة عن المجتمع الجزائري ولا تمت أية صلة به." والمرجعية الدينية هي ليست في المذهب المالكي فقط بل هي "الروح والرباط الذي تمثله الزاوية والمدرسة القرآنية."

الإتفاق ما بين النقابة والوزارة على تحديد التيار السلفي كمحدد رئيسي " للمرجعية الدينية الوطنية"، وجدير بالذكر هنا لفت الأئمة المبحوثين للتناقض ما بين تصريحات الوزارة المعنية بضرورة ألا يعلو المنبر من لا يحترم هذه المرجعية ولا يتقيد بها، وما بين السياسة الفعلية المتساهلة مع الأئمة السلفيين الذين بدأوا ينفذون بقوة إلى المساجد.

يساهم السياق الجديد الذي يعمل فيه الأئمة الذين ينخرطون في العمل النقابي والمتبنين لوضعهم كموظفين لدى الدولة في خلق سلطة دينية للأئمة من نوع جديد، فهي ليست سلطة تركز على كاريزما دينية روحية، وإنما سلطة تركز على كاريزما الوظيفة وكاريزما الإنتماء¹ إلى سلك معين.

قائمة المراجع:

1. جابي ناصر، الجزائر من الحركات العمالية الى الحركات الاجتماعية" عن المعهد الوطني للعمل، 2001.
2. ـ، مواطنة من دون استئذان: الدولة والنخب عن منشورات شهاب، 2006.
3. المستاري الجيلالي، الخطاب الديني ومسألة المواطنة في الجزائر: قراءة في مضمون خطب منبرية في مساجد وهران، ضمن كتاب الجزائر اليوم: مقاربات حول ممارسة المواطنة، إشراف: حسن رمعون، منشورات الكراسك، 2012.
4. عبد الرؤوف القاسمي، التنظيمات المسجدية، ضمن الحركة الجمعوية في الجزائر الواقع والآفاق دفاتر المركز منشورات الكراسك، 2005.
5. عروس الزبير، الجمعيات ذات التوجهات الإسلامية في الجزائر، مركز البحوث العربية والإفريقية، القاهرة، 2006.
6. الغدامي عبد الله محمد، الفقيه الفضائي: تحول الخطاب الديني من المنبر إلى الشاشة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001.

¹ Max Weber , Jean-Pierre Grossein , and Jean Claude Passeron , *Sociologie des religions* ([Paris]: Gallimard , 1996).

1. MOUSSAOUI , Abderrahmane , « La mosquée en Algérie. Figures nouvelles et pratiques reconstituées » , in REMMM , n° 125 , pp. 232-25 , juillet 2009 ,
2. MOUSSAOUI , Abderrahmane 1990 , "La mosquée au péril de la commune» , *Peuples méditerranéens* , 52-53 , 1990 , pp. 81-89
3. Bel Alfred , *coup d'œil sur l'Islam en Berbérie* , revue *Revue de l'histoire des religions* 75 , 1917 , 53-124.
4. BERQUE Jaques , *Quelques problèmes de l'islam maghrébin* , *Archive de sociologie des religions* 2 N°3 , 1957:9-20.
5. BERQUE Jaques , *Ulémas , fondateurs , insurgés du Maghreb (XVIIe siècle)* , Sindbad , coll. « Hommes et sociétés » , Arles , (septembre 1998) , 297 pages
6. *Le Maghreb entre deux guerres* , Ed CERES , 2001 , Tunis.
7. Gellner Ernest , *Les saints de l'Atlas* , Ed Bouchene , 2003 , Paris.
8. Gellner Ernest *Islam , Société et Communauté* , Ed CNRS , 1981 , paris.
9. Gellner Ernest *Islam et politique au Maghreb* , Ed CNRS , 1981 , paris.
10. Carret jaques *le problème de indépendance du culte musulman* , revue *L'Afrique et l'Asie* , N°37 , 1957 pp43-58.
11. Merad Ali , *Islam et nationalisme arabe en Algérie à la veille de la première guerre mondiale*
12. Colonna Fanny , *la répétition: les tolbas dans une commune rurale de l'Aurès* , *Annuaire de l'Afrique du nord* , Ed du CNRS 1979
13. Colonna Fanny , *Saints furieux et saint studieux ou , dans l'Aurès comment la religion vient aux tribus* , *Annales ESC* N° 3 et 4 mai Aout 1980.
14. De Neuveu Edouard , *Les Khouan. Ordres religieux chez les Musulmans de l'Algérie* , impr. d'A. Jourdan (1913).
15. RINN , Louis Marie , *Marabouts et Khouan: Étude sur l'islam en Algérie. Avec une carte indiquant la marche , la situation et l'importance des ordres religieux musulmans* , Adamant Media Corporation (19 février 2003).
16. ROUADJIA Ahmed , *Les frères et la mosquée: Enquête sur le mouvement islamiste en Algérie* , Karthala , 1990 , Paris
17. MERAD Ali , *le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940: Essai d'histoire religieuse et sociale* , El Hikma , 1999 , Alger.
18. Bourdieu Pierre , *le Déracinement* , Ed Minuit 1964 , Paris.
19. Bourdieu Pierre , *genèse et structure du champ religieux* , *Revue Française de sociologie* , Année1971 , Volume 12 , N°3 , pp295-334.
20. Doutté Edmond , *note sur L'islam maghrébin: les Marabouts* , Ed Leroux , Paris , 1900.
21. Sanson H , *Statut De L'islam En Algérie* , *Annuaire de l'Afrique du nord* , 1979 CNRS Paris .PP 95-109.

22. Frank FREGOSI: *Les rapports entre l'islam et l'Etat en Algérie et en Tunisie: de leur revalorisation à leur contestation En Algérie et en Tunisie: de leur revalorisation à leur contestation* . *Annuaire de l'Afrique du nord* . 1979 . PP 103-123.
23. Frank FREGOSI . *l'islam de houari Boumediene* . *Annuaire de l'Afrique du nord* . 1900 . PP 267-276.
24. Sanson H . *Statut De L'islam En Algérie* . *Annuaire de l'Afrique du nord* . 1979 CNRS Paris . PP 95-109.
25. Frank FREGOSI . *L'Imam . le conférencier et le jurisconsulte: retour sur trois figures contemporaine du champs religieux islamique en France.in Archives des sciences sociales des religions* .N° 125 (Janvier-Mars) 2004.
26. SALHI Mohamed Brahim . *Réflexion froide sur des questions chaudes: Quelle Anthropologie du religieux en Algérie ? Quelques éléments pour un débats.in Actes du colloque: quelle Avenir pour l'anthropologie en Algérie ? Ed Crasc* . 2002.
27. Roy Roy. *Le Post-islamisme. revue du monde musulman et de la méditerranée* ;Année 1999;Volume 85. Numéro 1